

بسم الله الرحمن الرحيم
خطبة جمعة / الملز / الجمعة، ٢٢/١٠/١٤١٨ هـ
وقفة مع آية { والذين إذا فعلوا فاحشة ... }... (٣)

عباد الله ، إن النفس البشرية مهما بلغ من الصلاح والتقوى فإنها لاتخلوا من الزلات والخطيئات ، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، وقد ورد في الحديث القدسي : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ، فاستغفروني أغفر لكم »

والله سبحانه وتعالى قد بين للإنسان طريقاً يقيله به عثرته ويمحو زلته ، فقد قال سبحانه وتعالى واصفاً عباده المتقين { والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون }^(١)

(الفاحشة) الفاحشة تطلق على كل معصية ، وقيل الفاحشة الكبيرة ، وظلم النفس الصغيرة ، وقيل غير ذلك^(٢) .

ومن هذه الآية يتبين أن الإنسان المسلم إذا زلت به القدم ووقع في المعصية فيجب عليه جملة من الأعمال هي :-

١- (ذكروا الله) أي ذكروه بألسنتهم ، أو أخطروه في قلوبهم ، أو ذكروا وعده ووعيده^(٣) . وقيل الخوف من الله والحياء منه ، وقيل ذكروا العرض على الله ، وقيل تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم عنه^(٤) .

على العاصي أن يتذكر بعد وقوعه في المعصية وعيد الله على هذه المعصية :

فإذا زنا مثلاً

وإذا سرق

وإذا شرب الخمر

وإذا كذب

ويتذكر أيضاً يوم العرض على الله يوم يؤتى بكتابه لا يغادر صغير ولا كبيرة إلا أحصاها ، يوم ينادى باسمه بين الخلائق ويفضح على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين ومن الأنبياء والمرسلين .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ٣٨١/١ .

(٣) الشوكاني ، فتح القدير ٣٨٢/١ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٣٥/٤ .

ولا بد أن يتذكر العاصي عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته عليه ، وأن سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، فكيف تجرأ العاصي على معصية مولاه العزيز الجبار ، وهو مطلع عليه ومشاهد فعله

كما لا بد أن يتذكر العاصي نعمة الله عليه بهذه الجوارح التي عصى الله بها ، وكيف قابل النعمة بالجحود ، وبارز الله بالمعصية .

وقد يتعدى الذكر إلى اللسان باللجوء إلى الله باستغفاره والإنابة إليه والتضرع والخشية منه . كما قد يكون الذكر بالعمل الصالح كالصلاة ، فقد قال الله سبحانه { وأقم الصلاة لذكري } ، و عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ص حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعتني ، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفتني ، فإذا حلف لي صدقته ، قال : وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - (رضي الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله ص يقول : ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر الله له . ثم قرأ هذه الآية { والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله }^(٥) إلى آخر الآية^(٦)

٢- (فاستغفروا لذنوبهم) أي طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم . وهذا الواجب الثاني على من وقع في المعصية سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، وهو المبادرة إلى الله سبحانه وتعالى بالاستغفار ، ولكن الاستغفار الذي ينبع من القلب ينم على الندم على المعصية ، والخشية من عقابها .

وقال القرطبي : قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان ، فأما من قال بلسانه : أستغفر الله ، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر . وروي عن الحسن البصري أنه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار^(٧) .

(ومن يغفر الذنوب إلا الله) أي لا يغفرها أحد إلا الله^(٨) .

(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٣٥ . وتامها : { فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون } .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ٢ / ١٨٠ واللفظ له ، والترمذي في سننه ، كتاب الصلاة ٢ / ٢٥٨ ، وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة ١ / ٤٤٦ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي ١ / ١٢٨ ، وصحيح سنن ابن ماجه ١ / ٢٣٣ ، ومشكاة المصابيح ٤١٦ / ١ .

(٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٣٥ .

(٨) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١ / ٤٠٨ .

٣- (ولم يصروا على ما فعلوا) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله من قريب ، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها^(٩) . والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة إليه من أهم الواجبات التي تتوجب على العاصي .

قال القرطبي : الباعث على التوبة وحل الإصرار هو إدامة الفكر في كتاب الله العزيز الغفار^(١٠) .

٣- (وهم يعلمون) أن من تاب تاب الله عليه^(١١) . وإذا حقق الإنسان هذه الأمور مع جملة أمور ذكرها الله سبحانه وتعالى في صفات المتقين فقد كتب الله له الجزاء العظيم بقوله { أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين }^(١٢) .

(٩) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤٠٨/١ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/٤ .

(١١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤٠٩/١ .

(١٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤٠٤/١ .